



الاسلام في العالم*

تأليف الدكتور زكي علي

مؤلف هذا الكتاب من الشباب القلائل الذين عرفوا بالانكباب على معالجة الشؤون والمشاكل الاسلامية، بما لها طورا بالكتابة في صحف الشرق والغرب، وآونة بالخطابة على المنابر والجماع. ولطالما قرأ له المصريون كثيرا من المقالات القوية في الصحف العامة تنيء عن اهتمامه القوي بهذه الناحية. والمؤلف إلى جانب اهتمامه بالناحية الاسلامية «طبيب» دقيق النظر. ولقد ظهر أثر تفكيره العلمي الصائب في كتابه الذي أخرجه هذا الشهر وهو: *Islam in the World* والذي يعد محاولة طيبة من الدكتور زكي علي، له الجزء الأوفى عليها

ولقد أوضح المؤلف في مقدمته الدافع على ذلك فقال: «في سنة ١٩٣١ غادرت مصر إلى أوربية لأول مرة في بعثة طبية وقد كنت موظفا كطبيب امتياز وطبيب تخدير في مستشفى قصر العيني بالقاهرة... ولم أكن أتوقع أن استلح على رغبة عنيفة لمسائل أخرى غير الطب... غير أني اكتشفت أن في أوربا جهلا مطبقا وعدم إدراك للاسلام. ذلك الدين الذي أومن به، وألفيت أن العلاقات بين الغرب والعالم الاسلامي في حال من المرض الشديد تستأهل بحث أسبابها ومعالجتها» ولم يحاول المؤلف أن يأتي بآراء جديدة في سفره هذا، ولم يعتمد إلى محاولة ذلك عمداً، بل لقد ذهب بمرض آراء الغربيين عرضاً دقيقاً ويستخلص من ثنايا كتاباتهم عن الاسلام ما يدحض به كل شبهة تحك في نفس

* *Islam in the World*، طبع في لاهور بالهند (١٩٣٨)، مكتبة الشيخ محمد أعرف في سوق كاشميري

أحدم، فهو يرى أن النظام الديني والاجتماعي في الاسلام ليس بالضيق أو ما يُشتم منه ربح التزمت والجلود، بل إنه في جوهره مرن، كما أنه يعمل على النهوض بالحياة الانسانية ويستعرض المؤلف في كتابه هذا حياة الرسول لأنه يرى أن لا بد لدراسة هذا الدين وتفهم مرامييه من تفهم حياة صاحبه، وتلك هي الطريقة التي سار عليها سير أرنولد في كتابه *Preaching of Islam* فلقد مهد لانتشار الاسلام بفصل عن «محمد كداعية» وفائدة هذا أن يربط القارئ بين المظاهر العامة والثانية في حياة الرجل الذي حمل عبء الرسالة وأداها صادقاً أميناً، وكان في حياته الخاصة والعامة المثال الكامل للانسان الفاضل، والصورة الواضحة الحق للرسول والنبي المبعوث، وما كان ينطق عن الهوى (إن هو إلا وحي يوحى، علمه شديد القوى)

ثم يمرض المؤلف للاسلام من حيث هو دين ونظام اجتماعي يربط بين الطبقات ويوحد بينها ويتجه بمراميهما إلى الغاية النبوية من الرسالة، ولقد كتب أحد المستشرقين مرة يقول «إن حياة الشرق تتمثل في كتابين لثالث لهما، أما أولهما فالقرآن، وأما ثانيهما فكتاب ألف ليلة وليلة»... كذلك يتجلى طابع الاسلام الحق وجوهره الخالص من كل زيف أو شائبة في القرآن وهو «كتاب اضطلع على مبادئ القانون الاسلامي العام: فهو قانون لدين اجتماعي مدني تجاري حربي فقهي سخاني تشريسي سياسي؛ وهو بمد ذلك كتاب له تأثيره الدائم على أذهان المؤمنين الذين هبوا أن ينسكب بهم الطريق لو أنهم تباروا على اقتفاء خطاه وأوامره، وليس في هذا الكتاب ما يناقض العقل» بل إنه لينسجع الاجتهاد والتخرج. ثم يمرض المؤلف للجهاد (ص ٣٣) فيرى أنه حرب دينية دفاعية، والجهاد شرعا الحرب في سبيل الدين والتدب عن حياضه، وادخال القوم الجاحدين به في شريعته.

ويتناول الدكتور زكي نظام الحكومة والدولة في الاسلام وهو من النواحي الهامة في تاريخ هذا الدين كان له أثره البعيد في آسيا وأفريقية ، فيتمرض للجزية والذكاة والخراج ، وهي الأسس الاقتصادية التي تقوم عليها الحكومة في الدول الاسلامية ، ويرى المؤلف أن الجزية ليست ضريبة تستؤدى من أهل الذمة كمقابل لهم بل إنها كانت نظير القيام على حفظ حقوقهم وبدلاً من قيامهم بالخدمة الحربية المفروضة على كل مسلم (ص ٥٥) ، وإن مرى النظام الاسلامي وغايته ومجهوده أن يمد يد العون للنوع البشري ليوفر له أسباب الراحة الروحية ، ويرق به في سبيل الكمال والسعادة .

ومن الفصول القوية التي دمجها الدكتور زكي على فصله عن تطور الاسلام Ovolution of Islam ، وهو يلم فيه بما انتاب الاسلام والمسلمين من أهوال جسام في عصور التاريخ المختلفة ، فلقد اشتدت عداوة النول له فقاموا بتدمير مراكزه الكبرى في قسوة لم يعرف التاريخ لها مثيلاً حتى ليكاد ينكرها من يقرأها بمد حدودها كما يقول ابن الأثير ، وإن المدارس لتاريخ النول في الشرق والماليك في مصر ليرى هذه الضراوة الشديدة من ضراوة التتر ومخالفتهم لدول الغرب المسيحية للقضاء على الاسلام ممثلاً في دولة الماليك ، ولم يخفف من حدتهم هذه اسلامهم . وكذلك انتابت الاسلام أخطارٌ جمة تمرض لها فكان ذلك الصراع العنيف بين الشرق والغرب ، يدفع كلا الجانبين حماسة دينية وتمصّب مٌلح ، وهذا هو المعروف بالحروب الصليبية ، فلقد امتشق فيها الغرب الحسام ضد الشرق والاسلام وأبحدت شعوبه المتنافرة تحت الصليب تدفعها من الخلف حيناروح دينية ، وأحياناً كثيرة تحمّسها الطامع السياسية ، ولكنها في كل ذلك تلبس مسبوح الدين . ويرى بعض الكتاب أن هجوم التتر وتدميرهم الخلافة العباسية في بغداد إنما هو ضرورة اقتضتها حياة القوم فلقد انغمروا في بلهنية من العيش وأغرقوا في اللذات ورفاهية السادة ، فكان تجديد الاسلام بتدمير هذه الحضارة وإقامة أخرى مكانها وزعيم هذا الرأي الكاتب الفرنسي Cahun ومهما يكن من صواب رأيه أو خطئه فإن الحقيقة الواضحة هي

أن الاسلام لم يفسنَ بعد هذا الهجوم بل تجدد وعاد قويا أما دراسته عن « الاسلام في الغرب » فيعرض فيها لآراء الكتاب الأوربيين أمثال رينان وولسون كاش وأرنولد وكريمر ويظهر في تضاعيف هذا الفصل ما انطوت عليه نفس الكاتب من حماسة بالغة للإسلام خرجت به أحياناً من موقف العرض إلى الدفاع ، فأكرم بهذه الروح التي أملت عليه ما أملت من نقاش ودفاع كريمين . وبهذا الفصل يختم المؤلف الفاضل القسم الأول من كتابه وقد خصصه للتعريف بالاسلام ثم ، يليه القسم الثاني والأخير منه وهو دراسة تحليلية للنواحي الفكرية في الاسلام ومستقبله في العالم كدين وكنظام اجتماعي وسياسي ، وهو ينظر بعين الرضا والاطمئنان للحركة التجديدية في الأديان الفارسي والتركي وما يترتب عليهما من إحياء المعاضى الحافل بصور المجد والعظمة ويختم المؤلف كتابه بدراسة قيمة عن (الاسلام في العالم) فيرى أنه لا يستطيع الفصل بين السياسة والدين فيه بل إنها ليتعاونان معاً في ميادين الاستقلال الاقتصادي والسياسي > والاجتماعي (ص ٣٩٧) ويضرب المثل على صحة هذا بالملك العظيم ابن سمود فلقد نجح في إقامة دعائم مملكته على أسس مستمدة من القرآن والسنة ، حتى لقد أصبحت الحجاز اليوم حكومة رشيدة قوية محترمة ، وفي ذلك أبلغ دليل على تعاون السياسة والدين وعدم تضاربهما ، على عكس الواقع في الغرب حيث لا يستطيع — بحال من الأحوال — التوفيق بين الدولة والكنيسة .

ويتساءل المؤلف في ختام بحثه هذا : هل يمكن إيجاد التعاون والتوفيق بين الاسلام والغرب ؟ ... ونظرت له هذه الناحية نظرة التفاضل ؛ ويذهب مدللاً على رأيه هذا بحجج بعضها — في حاجة إلى نقاش وإن كانت تنتهي أخيراً إلى الموافقة على رأيه .

وبعد فهذا عرض موجز لكتاب ألفه شاب مصري أوقف جهده وقلبه وتفكيره على ناحية يستأهل من أجلها شكر الشريكين والناطقين بالضاد في كل صقع وناد بلا تفرقة بين الملل والأديان ، ذلك لأن الشرق اليوم هو العالم الاسلامي

من مهنى